اليـــأس ...

صراخ النساء المتواجدات في محطة مترو غمرة أيقظني من رحلة ذهنية ممتعة ذهبت فيها إلى مملكة السويد، التي قضيت فيها أجمل أيام حياتي.. لحظتها كنت متجهًا إلى منطقة المرج.. نزلت من العربة، ووقفت أشاهد الواقعة، وجدت رجال الأمن يحملون جثمان شاب في عمر الزهور ويلفونه بقطعة كبيرة من القماش الأبيض، وذلك بعدما تم إبلاغهم من قبل موظفي المحطة بانتحاره.

سألت عن تفاصيل الواقعة.

علمت أنه في ريعان الشباب، ومن الواضح - حسب شهادة الشهود - أنه أقدم على الانتحار لظروف اجتماعية صعبة، ونفسية معقدة يقاسيها!

لم أقتنع بما سمعت، وتملكتني حاسة الفضول. ذهبت أسأل هنا وهناك عن تفاصيل أكثر للواقعة من بعض الذين شاهدوا. قال لي أحدهم:

- لقد رأى بأم عيني هذا الشاب وهو يُلقي بنفسه أسفل عجلات مقدمة المترو أثناء وصوله إلى المحطة، الأمر الذى أسفر عن وفاته في الحال.

تدخلت فتاة عشرينية في الحديث، موضحة أنها كانت تقف خلف الشاب، وسمعته يهذي بعبارات غير مفهومة.

سألتها:

- مثل ماذا لو تتذكرين؟

ردَّت على السؤال بسؤال:

- هل أنت جهة تحقيق؟

- أبدًا، ولكني فقط أريد أن أرصد الحالة؛ لأقف على أسباب الانتحار؛ حتى أكتب عنها كصحفي يحمل على كاهله هموم هذا الجيل البائس من الشباب.

انهمرت الفتاة بالبكاء، وقالت:

- سأوضح لك يا «أبيه» ما سمعته بالضبط.

نظرت إلى الفتاة وهي تلملم بقايا أحزانها المبعثرة من «هول» الحادثة، وحاولت أن أخفف عنها بعدما ساعدتها بالجلوس على أحد مقاعد المحطة؛ نظرًا لحالتها الصعبة التي شاهدتها عليها.

تناولت الفتاة كوبا من المياه، وبعد أن هدأت أعصابها وتمالكت نفسها، بدأت تكشف لي عن بعض العبارات التي سمعتها من هذا الشاب قبل انتحاره بلحظات، فقالت:

- كل ما أتذكره أنني سمعته يلعن الظروف التي جعلته فقيرًا لا يجد فرصة عمل مقارنة بأولاد الذوات.

وأضافت:

- سمعته أيضًا يسأل الله سبحانه وتعالى قائلاً:

- يا رب،أكثير على مثلي أن أعيش مثل أولاد الناس؟! يا رب هل كُتب عليّ أن

أعيش تعيسًا في الدنيا؟!

واستطردت الفتاة:

– أثناء حديث الشاب بتلك الكلمات بصوت منخفض، وبمجرد وصول المترو إلى المحطة، فوجئت به وقد ألقي بنفسه أمام القطار!

وحتى لا أثقل على الفتاة.. شكرتها وقلت لها:

– كفى يا ابنتي، ونسأل الله له الرحمة والمغفرة، وألا يعاقبه على فعلته؛ فهو أرحم بعباده من أنفسهم.

وقبل أن تنصرف الفتاة سألتني:

– يا عمو، هل سيذهب هذا الشاب إلى النار لأنه انتحر؟

قلت لها:

– يا ابنتي، لا شأن لنا بحديث الجنة والنار.. لكن نسأل الله له الرحمة والمغفرة.

استأذنت الفتاة، بعد أن شكرتها ثانية، واستقللتُ المترو المتجه إلى التحرير ناهضًا لعملي، وتذكرت ما جاء في الأحاديث النبوية بأن الانتحار من كبائر الذنوب، كما بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن المنتحر يعاقب بمثل ما قتل نفسه به.

واستحضرت حديثًا للصحابي الجليل أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:

– مَن تَردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومَن تحسَّى سمًّا فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا

فيها أبدًا، ومَن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يُجَأْ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. رواه البخاري ومسلم.

حينها فاضت عيناي بالدموع على هذا الشاب، وكل شاب في مثل ظروفه، ورفعت وجهي إلى الله طالبًا منه المغفرة له ولنا جميعًا، وسألت نفسي:

- هل يا ترى سيُحاسب من حرم هذا الشاب من فرصة العمل التي تسببت في بغضه لنفسه وللدنيا، فلم يجد أمامه وسيلة إلا الانتحار؟!.. انتهى.